

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقدمة

جميع البلاد العربية اليوم تشكو من الشكوى من أن الناشئة فيها لا تحسن النحو، أو بعبارة أخرى لا تحسن النطق بالعربية نطقاً سليماً، وكأنما أصيبت ألسنتها بشيء من الاعوجاج والانحراف جعلها لا تستطيع أداء العربية أداءً صحيحاً. ونخطئ خطأ كبيراً إذا ظننا أن شيئاً من ذلك أصاب ألسنة الناشئة في بلداننا العربية جعلها تعجز عن النطق السديد بالعربية، إنما مرجع هذا العجز أو القصور إلى النحو الذي يقدم إليها، والذي يرهقها بكثرة أبوابه وتفريعاته وأبنيته وصيغته الافتراضية التي لا تجرى في الاستعمال اللغوي. وهو - مع ذلك - يغفل شطراً كبيراً من تصاريف العربية وأدواتها وصياغاتها، مما يجعل الناشئة لا تتبين كثيراً من أوضاع اللغة واستعمالاتها الدقيقة.

والأمران جميعاً من قصور النحو التعليمي الذي يقدم للناشئة عن الإحاطة بصيغ العربية وأوضاعها ومن التوسع في صيغ واستعمالات افتراضية يحفزان الهمم إلى تيسير النحو وتبسيطه. ويتنادى كثيرون دعوانا من هذا التبسيط والتيسير كأن من يبغون ذلك يريدون إداً من الأمر أو نُكراً، وهم إنما يبغون الخير كل الخير حتى تحسن الناشئة نطق العربية لغة القرآن الكريم الذي أتاح لها عزة فوق عزة وسلطاناً على النفوس لا يماثله سلطان، فضلاً عن أنها لغة العرب القومية التي لا يتم للعرب بدونها مجد أو كيان. وقد طالب الجاحظ معلمى العربية منذ اثني عشر قرناً بتبسيط النحو للناشئة والاكتفاء بتعليمها قواعده الأساسية التي تكفل لها السلامة من اللحن في كتاب إن كتبتة وشيء إن وصفته وشعر إن أنشدته، يقول: «وما زاد على ذلك فهو مشغلة لها عما هي أولى به، وعويص النحو لا يجرى في المعاملات ولا يضطر إليه شيء». وإذا كان الجاحظ

دعا إلى تبسيط العربية للناشئة في زمن من أزمنة ازدهارها فأولى لنا أن ندعو إلى هذا التبسيط للناشئة في زمننا الذي بُعد قرونًا طويلة عن أزمنة هذا الازدهار.

ولم يصرّ معلّمو الناشئة من النحاة لزمن الجاحظ على موقفهم من تعليمها عويصّ النحو ومستغلقاته، ولا ارتفع صوتٌ ضدهُ يندُد بدعوته ويثبُط النحاة عنها، بل لقد استجاب لها أئمة النحو منذ زمنه على مرّ القرون إلى العصر الحديث، فكانوا يؤلّفون للمتخصّصين في النحو المؤلفات الضخمة التي تشبه بحارًا متسعة عميقة، ويؤلّفون للناشئة متونًا ومختصرات تُعرض عليها قواعد النحو الأساسية التي تصحّح نطقها وتقيم ألسنتها. ورأيت أن أذكر من هذه المختصرات والمتون أكثر من ثلاثين متنا ومختصرًا أُلّفَت متلاحقة في أمصار وأعصار مختلفة، حتى يتّضح بقوة أن أسلافنا ظلّوا طوال القرون الغابرة يرون أن تيسير النحو للناشئة واجب حتمي. وسيظل هذا الواجب قائمًا في الحاضر والمستقبل كما كان قائمًا في الماضي، بل لقد أصبح أكثر ضرورة وحاجة لناشئتنا لكثرة ما تتحمل في تعلّم اللغات الأجنبية وتعلم كثرة من العلوم الرياضية وغير الرياضية مما يثودها ويُقضم منها الظهور.

ورأيت أن أعرض - تيمّمًا لأعمال الأسلاف في تيسير النحو - دعوة ابن مضاء القرطبي في كتابه: «الرد على النحاة» إلى إلغاء نظرية العامل في النحو وكل ما ترتب عليها من تقديرات وصياغات وأبواب وعلل وأقيسة وتمارين افتراضية. ولم أكتف بذلك فقد مضيت أذكر المحاولات الحديثة في تبسيط النحو للناشئة، وألمت بكتاب لرفاعة الطهطاوي، وعرضت لجهود حفنى ناصف ورفاقه وجهود على الجارم ومصطفى أمين. ثم أخذت أبسط القول في المحاولات العصرية بادئًا بمحاولة الأستاذ إبراهيم مصطفى في كتابه: «إحياء النحو» ثم تحدّثت عن مقترحات لجنة وزارة المعارف (التربية والتعليم الآن) التي شكّلت في سنة ١٩٣٨ وقد أرسلت بها الوزارة إلى مجمع اللغة العربية لدراستها، فدرسها وأدخل عليها بعض تعديلات في مؤتمره سنة ١٩٤٥ وطلب إلى وزارة المعارف حينذاك أن تؤلّف كتب النحو على أساس تلك المقترحات وما اتخذ من قرارات. وبعد نحو عشر سنوات أُلّفَت هذه الكتب، وعمّت الشكوى منها في جميع المدارس، وتقرّر الانصراف عنها. وبذلك أخفقت كل تلك

المحاولات العصرية لتيسير النحو وتذليل صعابه.

وكنت - حين نشرت كتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي سنة ١٩٤٧ - ذكرت في مدخله مقترحات في تيسير النحو أقمته على ثلاثة أسس هي إعادة تنسيق أبواب النحو، وإلغاء الإعراب التقديري والمحلى، وأن لا تُعرَب كلمة لا يفيد إعرابها شيئاً في تصحيح النطق بها. وفي سنة ١٩٧٧ قَدِّمت إلى مجمع اللغة العربية مشروعاً لتيسير النحو أضفت فيه إلى الأسس الثلاثة السابقة أساساً رابعاً، هو وضع تعريفات وضوابط دقيقة لأبواب النحو العسيرة، وأحال المجمع المشروع إلى لجنة الأصول لدراسته، فأقرت شطراً كبيراً منه وعرضته على مؤتمر المجمع سنة ١٩٧٩ فأقره. وفي سنة ١٩٨١ ألقى محاضرة عامة بمؤتمر المجمع أضفت فيها إلى أسس التيسير الأربعة السالفة أساسين جديدين هما: أولاً: حذف زوائد كثيرة في النحو التعليمي تُغنى بشروط وقواعد عقدة، وبإعرابات افتراضية مصنوعة. وثانياً: زيادة نواقص ضرورية في النحو التعليمي حتى تتعرف الناشئة بوضوح صحّة النطق بالحروف والكلمات، وحتى تحيط بتعاريف الأفعال مع الضمائر وبدقائق كثيرة في أبنية الأسماء سوى ما ينبغي أن تقف عليه من تقاليد العربية في الذكر والحذف والتقديم والتأخير وصياغات الجملة الاسمية والفعلية وأنواع الجمل مستقلة، وخاضعة غير مستقلة.

ورأيت أن أضع في هذا التيسير بأسسه الستة كتاباً مرتباً مفصلاً يتخذ أساساً أو أصلاً لتعليم الناشئة خصائص العربية وقواعد النحو والتمرين عليها والدربة. وقد أُلغيت فيه ثمانية عشر باباً فرعياً رُدَّت أمثلتها إلى الأبواب الأساسية، وأُلغيت فيه العلامات الفرعية في الإعراب والإعراب التقديري والمحلى وما يتبع ذلك من إلغاء متعلق الظرف والجار والمجرور وإلغاء أن المصدرية الناصبة للمضارع مقدرة أو مضمرة، كما أُلغيت إعراب أى كلمة لا يفيد إعرابها أى فائدة في صحّة النطق بها نطقاً سليماً، ووُضعت تعريفات محكمة للمفعول المطلق والمفعول معه والحال. وحُذفت من قنوات الأبواب كل ما كان بها من أعشاب ضارة كالشروط والقواعد شديدة التعقيد والصيغ المصنوعة ووجوه الإعراب الافتراضية. وأضيفت في كل باب دقائق تصوّر سنن العربية في الصياغة والتعبير، كما أضيفت بعض أبواب ضرورية لتوضيح

الاستعمال اللغوى للكلمات فى الجملة، وللجملة الاسمية والفعلية، ولأنواع الجمل وما بينها من علاقات.

وسميتُ الكتاب «تجديد النحو» وهو لا يترخص أى ترخص فى مقومات العربية وأوضاع أبنيتها وصياغاتها المحكمة. ورأيت - دَعَمًا له وأداء لحقه - أن أولف هذا الكتاب الجديد لأزوده بحشد من الدراسات والأدلة المستقصية المستأنية، حتى يستبين نَهْجى - غاية الاستبانة - فيما رسمته فيه للنحو التعليمى من تجديد وتيسير. والكتاب موزع على ثلاثة أقسام: قسم لبيان المحاولات المتصلة لتيسير النحو التعليمى قديما وحديثا مع بيان محاولتى المتواضعة فى كتاب «تجديد النحو». وقسم ثان لبيان الشطر الأول من نَهْجى فى تجديد النحو التعليمى وتيسيره بتخليصه من قواعده وأبوابه الفرعية وزوائده وتعقيداته العسرة التى كانت - ولاتزال - ترهق الناشئة إرهاقا شديدا دون أن يجنوا منها شيئا يفيدهم فى إتقانهم للعربية. وقسم ثالث لبيان الشطر الثانى من نَهْجى فى تجديد النحو التعليمى وتيسيره باستكمال نواقص فيه ضرورية، حتى تتمثل الناشئة تمثلا قويا طواع الصياغة العربية ومقوماتها فى أبنيتها اللفظية وتراكيبها التعبيرية. والله أسأل أن يلهمنى السداد فى القول والإخلاص فى الفكر والعمل، وهو حَسْبى ونعم الوكيل.

القاهرة فى ١٥ من أبريل سنة ١٩٨٦

شوقى ضيف